كلية: الآداب واللغات.

قسم: اللغة العربية وآدابها

الأستاذة: فريدة درامنية.

مقياس: مدخل إلى الآداب العالمية.

المستوى/التخصص: الثانية ليسانس/دراسات أدبية.

المحاضرة: الأولى والثانية.

محاضرة: الأدب الإفريقي القديم والحديث.

قد يخلط الكثيرون بين الأدب العربي والإفريقي، إذ تقسم الصحراء الكبرى القارة الإفريقية إلى قسمين مختلفين؛ قسم الشمال وهو قسم افريقيا العربية الإسلامية، وقسم الجنوب وهي افريقيا السوداء، وهي المقصودة بالدراسة.

أولا–الشعر بين القديم والحديث:

للشعر مكانة بارزة في المجتمع الإفريقي القديم، حيث المدائح والأغاني الشعبية، وقد ظهر أربعة أنماط:

أ*النمط الفلكلوري: ويعني الشعر غير معروف المؤلف ويتداول مشافهة بلهجة محلية، إذ يصعب تحديد بدايته وكميته، ويختص بمدح الآلهة والبشر والحيوان وحتى النبات، كما اختص بوصف الحروب والقتال، إضافة إلى شعر التعاويذ والسحر.

ب*النمط الشعبي: ويهتم هذا النوع من الشعر بنقل حياة قبيلة معينة، أو الدفاع عن نظام قبيلة، واهتم أكثر بالمديح، حيث امتد هذا النوع إلى فترة الاستعمار. من أبرز شعراء هذا النوع عبد الله حسن1864–1920 الزعيم الديني والمؤسس للحركة الوطنية الصومالية. وأكثر ما اهتم به الشعر الشعبي الملاحم متأثرا بالشعر العربي والفارسي، وأهم ملحمة وأطولها المحمدية وهي حديث عن السيرة النبوية. ووجد في غرب نيجريا ملحمة أوزيدي المشهورة، وهي تدور حول بطل شعبي قاوم الاستبداد حتى مات، فخلفه ابنه الذي حمل اسمه وأخذ بثأره، وهي تروى مشافهة في سبعة أيام وليال.

ج*النمط المدون باللهجات الإفريقية: وقد حددت فترته مع الاستعمار الأروبي على إفريقيا، حيث دنس المستعمر التراث اللإفريقي بكل أشكاله، كتب مقايي 1875-1945 باللهجة القديمة، كما كتب مازيسي كونيني بلهجة قوم الزولو قصيدة نوزيزوى، تجسد صورة المرأة الخائنة التي باعت وطنها.

د*النمط المكتوب باللغات الأجنبية: وهو الشعر الذي كتب بلغات المستعمر، حيث كتب الشعر باللغة البرتغالية، حيث ظهر الشاعر كوستا أليجري سنة 1880 صاحب الشعر الرومانسي، ومن الموزمبيق روي نورينا ، وقد مثل هذه الفترة باللغة البرتغالية جوستينو نيتو الذي صور في قصيدة يجب أن نعود اضطهاد المستعمر للأفارقة.

وقد أبدع أدباء افريقيا باللغة الإنجليزية مع النيجيري كريستوفر أوكيجبو من خلال قصيدة افتتاحية الحدود، ومن غانا جون أوكاي، ومن أوغندا أوكوت بيبتيك.

كما وجد الشعر المنظوم باللغة الفرنسية ومن أبرز شعرائه جون جوزيف رابيا ريفولو وتشيكايا أوتامسي وبيراجيو ديوب من خلال ديوانه دقات المدقة.

ثانيا- القصة والرواية بين القديم والحديث:

انتشرت في أدغال إفريقيا القصص الشعبية المرتبطة بالأساطير، كقصة الأرنب البري أو العنكبوت؛ فحينما تسرق السلحفاة سلة الحكمة من الآلهة تعلق السلة في الشجرة وتحاول السلحفاة استرجاعها فتسقط السلة وتتناثر الحكمة في العالم، كما سرق العنكبوت قصص إله السماء.

ظهر إبان الامتداد المسيحي مع حكم الامبراطورية الرومانية في القرن الثاني للميلاد الأديب العالمي الإفريقي أبوليوس لوكيوس صاحب أول رواية عالمية الحمار الذهبي التي جمعت بين العجائبية والروحانية والأخلاقية.

أما في العصر الحديث أبدع الأفارقة في القصة بمعايير أروبية، فكتب توماس موكوبو القصة التاريخية شاكا، ورائد القصة الحديثة جيمس فيوتيلا بقصته الحرية للعبيد، وبرزت القصة الدينية المعنونة بغابة الإله لفاغونوا سنة 1947، كما ظهرت القصة الواقعية بزعامة دلانو في قصته عالم الرجل الأبيض سنة 1955.

ثالثا– المسرح الإفريقي بين القديم والحديث:

اعتبر التمثيل عند الشعوب الإفريقية بمثابة أداة تعليمية من جهة والقالب المحافظ على العادات والتقاليد من جهة أخرى. يشير الرحالة العربي ابن بطوطة في رحلته إلى مالي اهتمام السلطان بتمثيليات تسمى الأضحوكة ولعلها ما يسمى اليوم بالملهاة.

كان التمثيل عبارة عن طقوس دينية، إذ كان الأفارقة يقدمون القرابين للإله شانجو تشبه إلى حد كبير الطقوس الإغريقية. وأشهر تمثيلية قديمة السمكة البكاءة، حيث تعقد في حلقة واسعة من الجمهور تتوسطهم نيران الحطب، ويقوم الراوي بعزف آلة القيتار بموسيقى تتماشى وأحداث الأسطورة. فهو تمثيل شعبي لا يعتمد مكانا مخصصا، ولا تأخذ الآلهة النصيب الأكبر في الأحداث.

بدأ المسرح الإفريقي الحديث مع ما يسمى بمسرح الإرساليات من خلال الإرساليات المسيحية الأروبية، التي عملت على تضييع الهوية الثقافية الافريقية مقابل نشر هوية ثقافية أروبية.

أسسّ الاستعمار الأروبي خاصة الفرنسي مدارسا لنشر لغتهم وعلومهم وثقافتهم (المسرحية)، فتأثر التلاميذ الأفارقة بالآخر. فأسس الغيني كيتافو ديبا فرقة الباليه الإفريقية على نمط المدرسة الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية.

ظهرت المحاولات الدرامية المتأثرة بالمدرسة الإنجليزية مع هوبرت ضلومو عام 1935 في مسرحية الفتاة التي قتلت، وتحكي قصة الفتاة التي حاربت الأروبي لتحرر وطنها.

ليكن في العلم بأن الجنوب الإفريقي وحده من عرف المسرح شكلا وفنا –خاصة نيجيريا–، حيث جاء به الغرب للترفيه عن أنفسهم، أما بقيت إفريقيا فلم تتعرف على هذا الفن إلا متأخرة.

ظهر المسرح في نيجيريا مع هربرت أوجوندي، وقد اقتبس مسرحياته من الكتاب المقدس/ المسرح الديني، فألف أكثر من ثلاثين أوبرا. والمسرحي روتيمي الذي عالج أسطورة أوديب في مسرحيته لا لوم على الآلهة سنة 1971.

بدأت النهضة المسرحية في نيجيريا في الستينات متأثرة بالثقافة الإنجليزية، ورائد المسرح هو الممثل والمخرج والشاعر والروائي والناقد المترجم وولى شوينكا صاحب جائزة نوبل للآداب سنة 1986، حيث كون سنة 1960 فرقة الأقنعة، من مسرحياته نذكر سكان المستنقع والأسد والجوهرة. إضاف إلى صاحب المسرح الكوميدي هوبر أوغند مع مسرحية العقلية الأروبية سنة 1964، والمسرحي أغوغولا من خلال مسرحيته حب المال سنة 1950.

ملاحظة: للتوسع ينظر في المراجع التالية:

-علي شلش، الأدب الإفريقي.

-وول شونيكا، الأسطورة والأدب والعالم الإفريقي، تر: نسيم محلى وإيرين محلى.

-أبوليوس لوكيوس، الحمار الذهبي، تر: أبو العيد دودو.